طبائع الرتيلاء

بينا نرى طائفة من العلماء تراقب اجرام السماء وتقيس ابعادها وحركاتها بملايين الاميال وتواريخها واعمارها بملايين السنين نرى طائفة اخرى تبحث عن الذباب والبعوض بل عمّا هو اصغر منها بما لا يقدّر من المخلوقات التي لا تُرى الاّ باقوى المكبرات وتقيس اجسامها بكسر من القيراط واعمارها بالدقائق والساعات . وكل عالم يضيف صفحة الى ديوان المعارف ويبني حجرًا في صرح العلوم والجميع ساعون سعيًا حثيثًا نحو غاية واحدة وهي معرفة حقيقة الموجودات . ومن اراد ان يعلم مقدار ما اشتغلت علماء هذا العصر فليقابل ما كتبوهُ بما كتبهُ الذين تقدموهم في كل فن ومطلب

ومما يرتاح اليهِ كل احد معرفة طبائع المخلوقات التي حولهُ فانهُ قد لا ينتبه اليها لكثرة ما الفها نظرهُ ولكنك اذا نبهتهُ الى بعض طبائعها اخذ يبحث عن البعض الآخر بولع وارتياح . ومن هذه المخلوقات الرتيلاء او العنكبوت وهي حيوان معروف لا تخفى رؤيتهُ على احد ولو سلكًا لانها تمسك بيديها وهي في قصور الملوك كما قال الحكيم ولا تخلو بلاد منها من خط الاستواء الى اقاصي الشمال . وتمتاز على غيرها من انواع الحيوان بكثرة عيونها . وعيونها لا تتحرك في اوقابها كعيني الانسان ولذلك كثر عددها ووضعت متفرقةً لكي ترى بها كل ناحية . ولكلّ عين وجوه عديدة حتى لا تفوتها رؤية شيء ولا يدنو منها عدو الاّ وهي شاعرة بهِ . واعينها تغنيها عن السمع فلا تسمع الاصوات ولكنها قد تشعر بها شعورًا ولا سيما الاصوات الموسيقيَّة لان خيوط بيتها تهتز بها فتشعر هي باهتزازها وتخرج منهُ

وللرتيلاء ثماني ارجل ويدان فيها مخلبان وزقان مملوءان سمًّا تستعملهُ في قتل فرائسها . وبدنها مغطًّى بشعر دقيق يظهر تحت الميكروسكوب كريش الطائر فهو عرضة لتراكم الغبار وتلبدهِ لولا ان الرتيلاء حريصة على تنظيف بدنها بارجلها . وفي اسفل بطنها مما يلي مؤخرها هنة ذات انابيب صغيرة تخرج منها مادة سائلة تجمد في الهواء وهي خيوط العنكبوت المشهورة بدقتها

وما في ظاهر الرتيلاء من الحكمة الباهرة لا يُحسَب شيئًا اذا قوبل بما في باطنها فمجموعها العضلي يجعلها من اقوى الحيوانات بالنسبة الى صغر جسمها . وجهازها العصبي يجعلها المثل الاول بين طوائف الحيوان . وهي كثيرة الولد ولكنّ عددها لا يزيد لانها

شرسة ينتزر بعضها بعضاً. وكل انواعها تبيض بيضاً والامُّ تعتني ببيضها وصغارها اشد الاعتناء ما دامت الصغار في حجرها فاذا فارقتها لم تعد تميّز بينها وبين غيرها فتفترسها اذا دنت منها. واذا آن وقت الزواج اقترب الذكر من الانثى وهو في اشد الحذر مخافة ان تفترسهُ فاقام معها لحظة من الزمان واركن الى الفرار فيخرج من يديها بطول ارجلهِ. والاناث اكثر من الذكور عشرين ضعفاً

والرتيلاء انواع كثيرة منها الرتيلاء الوائبة وهي صغيرة لا تنسج بيوتاً كبيرة بل تسكن الشقوق والمخاريب ولها عيون كثيرة ترى بها ما حولها فاذا وقعت عينها على ذبابة وثبت عليها وثبة صادقة والغالب انها لا تخطئها وان اخطأتها لم تضرر لانها احذر من الحرباء فتربط نفسها بخيط من نسجها بطول حال وثبها فان اخطأت الفريسة لم تقع على الارض بل بقيت معلقة بخيطها ثم تتعرّش به راجعةً الى بيتها

ومنها الرتيلاء الصائدة وهي تضع بيوضها في كيس صفيق تنسجهُ لها واذا ارتحلت من مكان الى آخر حملتهُ بين يديها كأنهُ اعزُّ شيء لديها فان صادفها احد وحاول اخذهُ دافعت عنهُ بكل جهدها دفاع المستقتل. وحينما تنفقُ بيوضها تجتمع صغارها على ظهرها فتحملها وتمونها الى ان تبلغ الصغار اشدها وتصير قادرة على ان تستغني عن امها وتسعى لنفسها فتعامل امها معاملة الاجنبية وتفترسها كما تفترس غيرها من العناكب.

ومنها الرتيلاء المائية واوّل مَنْ وصفها الاب دي لينياك فانهُ كان يغتسل في نهر سنة ١٧٤٧ فرأى في الماء كراتٍ بيضاء لامعةً كالفضة تتحرّك ببطءٍ وبسرٍّ غير خاضعة لجريان الماء فاشكل عليهِ امرها ولدى البحث والمراقبة علم ان كل عنكبوتة تمسك باوراق النبات التي تحت الماء وتوصل بعضها ببعض بخيوطها وتصعد الى سطح الماء وتنام على ظهرها وتعرّض بطنها للهواء ثم تغوص في الماء الى تحت الاوراق وتمسح الهواء الذي يلصق ببدنها فيجتمع فقاعة صغيرة تحت الاوراق فتصعد الى سطح الماء ثانيةً وتنزل وتمسح الهواء عن بدنها فتجد فقاعتهُ بالفقاعة الاولى وبعد قليل من الزمن يجتمع لها فقاعة كبيرة كالبندقة فتنسج حولها الخيوط وتقيم فيها تتنفس منها وتتربص الفرص لفرائسها وهي كاسرة مثل غيرها من انواع العناكب

ومنها رتيلاء المساكن وهي تنسج بيتها في مساكن الناس ونسجها ابيض ناصع اذا كان جديداً ولكنهُ لا يلبث ان يعلوهُ الغبار فيكدرُّ لونهُ وقد يعلوهُ الدخان ايضاً فيسود وهي جبانة فتترك فسحة بين بيتها والحائط حتى تهرب منها اذا اوجست

خيفةً وتنسج خيمة تحت بيتها تلجأ اليها عند الضرورة . وتبيض في كيس صغير تخفيهِ في مكان مستور لكي لا يُهتدَى اليهِ وتقيم تراقب بيضها بلا اكل الى ان ينقف فتعود الى بيتها وقد اخذ منها الجوع كل مأخذ وتجعل تفترس الذباب بكثرة حتى تغطّي الارض تحتها من رمم القتلى

ومنها العنكبوتة العادية (ابيرا فُلغارس) وهي التي تنسج البيوت الهندسية الكثيرة الاضلاع في الحدائق والبساتين فانها تقف على غصن وترمي بخيط من نسجها فيطول من نفسهِ الى ان يصل الى غصن آخر ويعلق بهِ فتصعد عليهِ وتعلقهُ في المكان الذي تختارهُ ثم ترمي بخيط آخر وآخر الى ان يتكوّن لها شكل كثير الاضلاع . ثم تمشي على الخيط الاول وتقف على منتصفهِ وتعلّق خيطها وترمي نفسها الى الخيط المقابل فتمد بين الخيطين خيطًا ثالثًا يوصل بينهما وتمرُّ بمركز الشكل الكثير الاضلاع وتضع نكتةً من حريرها في منتصف هذا الخيط وتمد من هذه النكتة خيوطًا الى المحيط فتكون كانصاف اقطار الدائرة متشعّعة كلها من المركز الى المحيط . ثم تقف في المركز وتوصل خيطها بهِ وتدور حولهُ دورة لولبية فتمد خيطًا حلزونيًا حولهُ مبتدئًا من المركز ومنتهيًا في المحيط على بعد واحد بين خطوطهِ وتعود الى قرب المركز وتمد خيطًا آخر حلزونيًا تقع اضلاعهُ بين اضلاع الخيط الاول وهكذا الى ان يتم لها شكل هندسي بديع . واذا عصفت الرياح بهذا البيت فمزقتهُ او عبثت بهِ اجنحة الطيور صبرت صبر الكرام اذا رُمِيَ بنوائب الدهر واخذت تبني بيتًا جديدًا فائقتهُ في ساعة من الزمان وكذلك اذا تصدع البيت من احد جوانبهِ فانها ترقعهُ حالاً ولا تستعيب السكن في بيت مرقوء . وقد جهزتها العناية بما يلزم من الادوات الهندسيَّة لبناء هذا البيت وهي تنصبهُ شبكة تصيد بها فراشها فاذا نشبت فيهِ فريسة استحالت نجاتها . وهذه العنكبوتة تبيض في الخريف وتنسج ليضها شرنقة صغيرة تقيها من الآفات وتخفيها في مكان امين ثم تموت حاسبةً انها اخلفت ما يقوم مقامها وتخرج صغارها من البيض وتعيش معًا مدةً ثم تتفرق وكل منها يسعى وراء رزقهِ

ومن العناكب ما يكون كبير الجسم معلّمًا بالوان بديعة ومنها ما يبني بيوتهُ فوق مجاري المياه فينصب خيوطًا بين الاشجار من الضفة الواحدة الى الضفّة الاخرى ويبني بينها بيوتهُ ويجعلها شباكًا للحشرات التي تتردّد على المياه وملجأً لهُ من الطيور والهوام التي تتردد على الاشجار لافتراسهِ بل من الناس ايضًا لان بعض طوائف المتوحشين

يأكل العناكب ويستطيبها

وقد رأى بعضهم في بيت العنكبوت خيطًا امتن من غيره ولم يرَ العنكبوتة تستعمله لشيء فقطعهُ فلم يكن الأبرهة وجيزة حتى نسجت غيرهُ فقطعهُ فنسجت غيرهُ ولما رأى منها ذلك تركهُ لها. وذات يوم كان يراقبها فرأى جنديًا وقع في شبكتها فللحال مدّت الخيط المذكور ولفتهُ به حاسبة ان هذا الفرد له هذا الزنجير

ومن اغرب انواع العناكب بعض عناكب مدغسكر فانها تنسج بيوتها في الماء وتخربها في الصباح وتختفي النهار كلهُ لكي تصيد الحشرات التي تطير ليلاً ولا يراها احد في النهار فيصيدها

وكثير من العناكب لا يبني بيوتًا وشبكة بل يكتفي بثقب صغير يبطنهُ بنسيجهِ ويقيم فيهِ يترصد مرور الحشرات لكي يقبض عليها ويفتك بها وليس لهذا النوع من العناكب الاّ ست عيون اي انهُ فاقد العينين المؤخرتين اذ لا حاجة بهِ اليها لان وراءهُ ظلمة ولا شيء فيها

وفي برازيل ورغوبانا زيلاء كبيرة جدًا فيها من القوّة العضليّة ما ليس في زيلاء اخرى تسكن نخار يب الاشجار وتقيم النهار في بيوتها وتخرج ليلاً للصيد والقنص كالضواري فتصيد الحشرات الكبيرة والعظايات والعصافير الصغيرة وهي المرسومة في الشكل المقابل

ومن اغرب انواع العناكب بل من اغرب انواع الحيوانات العنكبوتة ذات الوجر فانها تحفر وجرًا في الارض تبطنهُ بنسيجها وتجعل لهُ بابًا تغطيهِ بالتراب حتى لا يمتاز عن الارض التي حولهُ وتجعل دائرهُ مخروطًا حتى يغطي الثقب ولا يدخل فيهِ وتجعل لهُ زلاجًا مرنًا حتى اذا فتح أغلق من نفسهِ. وحول الزلاج ثقوب تمسك بها العنكبوتة اذا درت ان احدًا يقصد فتح هذا الباب وتشد بهِ بكل قوتها وهي تقيم النهار كلهُ في بيتها هذا والباب مغلق فاذا خيّم الليل خرجت منهُ وسعت في طلب رزقها حتى اذا اكلت واكتفت عادت الى وجرها واغلقت الباب وراءها

ومن طبع الزيلاء الزهد فتعيش منفردة كانها تكفّر عن ذنوبها ولكن ما كل انواعها يرى الزهد مذهبًا فان بعض العناكب ذوات الاوجار تقيم بجانب بعض حتى تتماس أوجارها وتمتاز على كل العناكب في ان الذكر ينزل على الانثى ضيفًا كريمًا ويقيم عندها يعاونها على حضن بيضها وتربية صغارها وحينما تبلغ الصغار اشدها تفترق عن ابويها ويفترق الذكر عن الانثى ويعيشان منفردين او يذهب الى عنكبوتة اخرى

يقيم عندها مدّة الحمل والحضانة. وقد شاهدنا العنكبوتة ذات الوجر في سواحل الشام مرارًا كثيرة ولم نرَ بين الحشرات ما هو ادهى منها واشدّ حذرًا فاذا خُدِعت مرة وخرجت من وجرها لم تعد تُخدَع ثانية الاّ بحيلة اخرى.

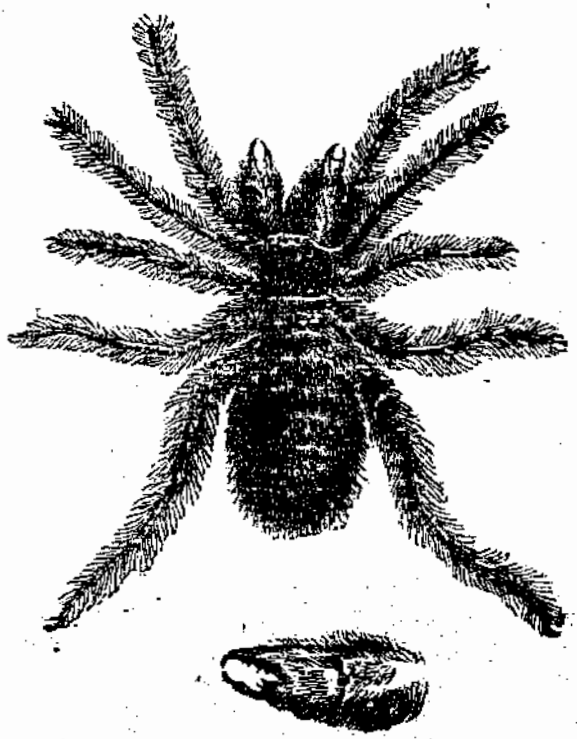

وجملة القول ان العناكب على كثرة انواعها واختلاف اشكالها تمتاز على اكثر الحشرات بحكمتها وتقديرها للعواقب واتخاذ الطرق والاساليب اللازمة لمعيشتها وتمتاز على كل الحيوانات تقريبًا في حبها للعزلة والانفراد وقلة الالفة بين ذكورها واناثها. ولا يخلو درس طباعها من فائدة لمن يبحث عن نموّ العقل والعواطف الاديبّة في انواع الحيوان

ولا بدّ من حكمة في خلقها وبقاء انواعها مع انقراض انواع كثيرة من الحيوان. ومن كان في ريب عن ذلك فليلتفت الى جدران قصر النيل من الخارج فانهُ يرى عليهِ بيوت العنكبوت تعدّ بمئات الالوف وكذا اكثر المنازل المجاورة للنيل فلولاها لامتلأ جوّ القاهرة من الذبان والبعوض كما امتلأ مرّة في ايام بني اسرائيل. ولله في خلقهِ آيات